# أنواع الخلاف

# الشيخ مشهور بن حسن ال سلمان

## ندوة بعنوان

## فقه الخلاف والائتلاف

## نظمها مركز الإمام الألباني للدراسات والأبحاث

## الجمعة (16-2-2024 / 6 شعبان – 1445)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله أما.

بعد فقد قسم أهل العلم الخلاف إلى نوعين:

- خلاف التنوع.
- خلاف التضاد.

وهذا التقسيم أقدم من قال به الإمام أديب أهل السنة ابن قتيبة المتوفى سنة (276) وشهره وانتشر على لسان شيخ الإسلام ابن تيمية، وأكثر من استخدامه في مسائل الخلاف ولاسيما في كتابه البديع رفع الملام.

خلاف التنوع كما سمعتم من الشيخ أكرم زيادة خلاف القراءات، خلاف أذكار الركوع والسجود ودعاء الاستفتاح .

ويسميه ابن حبان وشيخه ابن خزيمة في صحيحيهما الخلاف المباح، ونحن اليوم بتعبير الدارج الشائع بين طلبه العلم يقولون الخلاف المستساغ.

وهنالك خلاف حرام، وخلاف غير مستساغ وهو خلاف التضاد، فخلاف التضاد وقع قليلاً بين السلف، وأعني بالسلف الصحابة والتابعين وتابعيهم لما غابت النصوص الشرعية
فالنصوص الشرعية ما دونت انتقل الأصحاب إلى الأمصار بعد وفاة عمر لما أذن لهم عثمان وانتقلت السنة عندهم فجاء العلماء المحدثون المتأخرون من بعدهم وبدأوا يجمعون وسنة الله التي لا تتخلف في كل خير أو شر أن الخير أو الشر يبرز شيئا فشيئا فبدأ الائمة المحدثون، واشتهر كتاب الموطأ، وكان الشافعي يقول لا يوجد تحت أديم السماء أصح من كتاب الموطأ حتى جاء البخاري وجاء مسلم فألفوا كتابيهما.

الخلاف بين السلف إن غابت عنهم النصوص كانوا مضطرين إليه وكانوا لا يلزمون به ولذا الإمام ابن القيم عقد فصلين متتاليين في مقدمه كتابه إعلام الموقعين هل السلف قالوا بالرأي ؟

فبدأ بذكر ذم السلف للرأي ثم ثنى بفصل جديد أن السلف قالوا بالرأي وكانوا يقولون هذا قولي فإن أصبت  فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله، ووفق بين

الفصلين بأن السلف لما كانوا مضطرين للقول بالرأي قالوا به من غير إلزام وكانوا يلزمون بقال الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

للعلم قواعد والعلماء اعملوا القواعد، فمالك رحمه الله تعالى أُثر عنه أنهُ سئل عن مسائل عديدة وقال فيها برأيه ثم في أواخر حياته ندم عن ذلك وكان يقول لوددت أني ضربت لكل مسألة أفتيت بها برأيي سوطاً وقد كنت في سعة من

أمري وليتني لم أفتي بالرأي.

أوسع العلماء في معرفه الآثار أخرهم أبو عبد الله أحمد بن حنبل، فكان إن سئل عن المسألة يفتي بالقول بالحديث وكان يعتمد الحديث الضعيف الذي لم يشتد ضعفه وضعفه يسير على القول بالرأي تجنباً للرأي، ولكي يبقى متبعاً من قبله خصوصاً أن كثيراً من الأحاديث التي بلغت ضعيفة مرفوعة ولكنها صحيحة إما إنها من قول صحابي أو تابعي وهذا كثير عند من يمارس الصنعة الحديثية وكان إن وجد الصحابة رضي الله تعالى عنهم اختلفوا في مسألة على عده أقوال قال في المسألة ويسرد أقواله.

جاء العلماء وبحثوا مسائل مهمة حول نوع الخلاف فقالوا المصيب واحد ولا اثنين؟

فنشأ مذهبان عند العلماء، مذهب يسمى بمذهب المخطئة، ومذهب آخر يسمى بمذهب المصوبة.

فالمخطئة يقولون : كل الأقوال خطأ إلا واحد وهذا هو المعتمد عند أهل العلم، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله فان قال قائل أرأيت ما اجتهد فيه المجتهدون فكيف الحق فيه عند

الله عز وجل قيل لا يجوز فيه عندنا والله تعالى أعلم أن يكون الحق فيه عند الله إلا واحداً، مثل لون المنديل هذا لونه أبيض لا يمكن أن يكون أبيض وأسود، فالحق واحد.

فالذي درج عليه أهل العلم مذهب المخطئة.

المصوبة قالوا: كل الأقوال صواب ولا يجوز الإنكار، أن ينكر أحد على أحد لأن كل الاقوال صواب.

فالمخطئة ناقشوهم فقالوا لهم قولكم هذا خطأ فكان ماذا عليهم أن يقولوا لمن قال أن قولكم هذا خطأ صواباً كان ينبغي أن يقولوا هذا صواب كل الأقوال صواب فقالوا هذا خطأ فكان ينبغي أن يقولوا هذا صواب، فقال المخطئة كفينا الشر معكم، ما دام أن كل الأقوال صواب فنقول لكم أنتم مخطئون قالوا صواب إذا خلاص فرغنا من المسألة .

اردأ وأسوأ الأقوال على الإطلاق والتي اضطر اهل العلم في التضييق والتشديد على المصوبة الذين قالوا أن الصواب في الأصول أصول الأديان كلها صواب ولذا كان يقول أبو إسحاق الإسفرائيني وهو من علماء المحققين من الشافعية وغيره كما نقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في المجلد ال 21 صفحه 205 فما بعد كان يقول هذا القول أوله سفسطة وآخره زندقة، أنه القول كل صواب حتى في الأديان هذا يفرح أصحاب الديانة الإبراهيمية، فالقول كله صواب خطأ في الأديان، ما أحد من أهل العلم من المعتبرين قال أنه كل الاقوال صواب حتى في الأصول.

وثبت في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما إلى عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

وهذا حديث نص صريح في ترجيح مذهب المخطئة لأن النبي قال إذا أصاب وإذا أخطأ فجعل مقابل الصواب الخطأ.

المصوبة تعلقوا بأشياء، ومن الأشياء التي تعلقوا فيها تعلقوا ببعض الأحداث ثبتت في السيرة، وتعلقوا ببعض أقوال السلف وهم محجوجون في الأمرين فعند التحقيق فاحتجاجهم بالحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ هو عليهم وليس لهم .

احتجوا ب ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال النبي ﷺ يوم الأحزاب لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريضه فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيهم وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ﷺ ذلك فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم.

قالوا: هذا دلالة على أن الفريقين مصيب، فعدم التعنيف ليس فيه دلالة الصواب.

هم يردون فيقولون النبي ما بين الصواب أي من الفريق، من الذي اصاب من الفريقين صلى الله عليه وسلم، فشيخنا الألباني رحمه الله له كلمه بديعه جداً حول هذا الحديث في السلسلة الضعيفة في تحت حديث رقم (1981) وقال كلاماً ما مفاده أن هذه الحادثة لن تكرر إلى يوم الدين، فالحادثة التي لم تتكرر إلى يوم الدين لا فائدة من البيان فيها وعدم العتاب ليس فيه دلالة على أن الفريقين مصيبين لأن المجتهد المخطئ معذور فالعذر شيء والصواب شيء

آخر، وبالتالي الاحتجاج بهذه الحادثة على أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم مصيب هذا احتجاج ليس بصواب.

احتجوا ببعض الآيات احتجوا وببعض الأحاديث في الحقيقة ليست في محلها (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)، نعم الله خلقنا ولله غاية من الخلق لنا وغايته سبحانه حسب مشيئته الشرعية التي يحب التي يحبها قال الله عنها: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)).

أما ارادته الكونية فمشيئته أن نختلف ولا يجوز الاحتجاج بإرادة الله الكونية.

ولا يزالون مختلفين فإرادة الله جل في علاه في كونه أن يختلف الناس والخلاف واقع وحاصل والذين يعصمون من الخلاف هم الذين رحم الله الذين اعتصموا بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فهذا إن وقع خلاف بينهم الواجب عليهم أولاً ان ينبذوه وأن يحاصر وأن يرفعوه بالآيات والأحاديث والأدلة أو بحسن

الإلحاق إذا كانت المسألة نازلة، كما حصل في المسألة التي عقدت هذه الندوة من أجلها وهي نازلة غزة، فينبغي أن ترد المسائل إلى أصولها قال تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

فاذاً ( ولا يزالون مختلفين) حسب سنة الله في كونه، فالله في كونه له رسل ورسله الشياطين ارسلها على الكافرين قال تعالى:( إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازاً)، لكن أنبياء الله ورسله في سنته في شرعه هم خير الخلق وأفضلهم، وأما في سنته في كونه فالخلاف لا بد أن يقع ولذا يقع التطاحن حتى تصل الأمور إلى الحروب بين الأديان بين الشعوب وهذه سنة باقية الغلبة التي فُطر عليها الناس.

احتجوا ببعض الأحاديث ما أنزل الله بها من سلطان –أعني المصوبة لا المخطئة، قالوا: اختلاف أمتي رحمة، قلنا لا أصل له، لم يثبت، قالوا عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، قلنا: لا أصل له، لم يثبت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الذي صح في الاستدلال أثار مهمة، ومن أشهر هذه الأثار أثار للقاسم ابن مُحَّد من ذرية أبي بكر الصديق وأثار عمر ابن عبد العزيز، قاسم ابن مُحَّد كان يقول: "لقد نفع الله باختلاف أصحاب النبي ﷺ في أعمالهم، لا يعمل العامل بعمل رجل منهم إلا رأى أنه في سعة، ورأى أن خيرًا منه قد عمل عمله". وقال: أي ذلك أخذت به لم يكن في نفسك منه شيء، وفي مثل هذا المعنى قال عمر بن عبد العزيز: ما يسرني أن لي باختلافهم أي اختلاف الأصحاب مثل حمر النعم، كان يحب خلاف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، قال القاسم لقد أعجبني قول عمر ابن عبد العزيز ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنه لو كان قولا واحدا كان الناس في ضيق وأنهم ائمة يقتدى بهم، فلو أخذ أحد بقول رجل منهم كان في سعة.

هل هذا مدح للخلاف؟

لا.

هذا فيه تسويغ وجود خلاف، بمعنى أننا من فضل الله علينا أن سلفنا الصالح اختلفوا المسائل فنحن في سعة وفي خير إن وقع الخلاف بيننا ، فنحن مسبوقون بخلاف من قبلنا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم والتابعين وتابعيهم.

فلا بد أن يقع خلاف بيننا.

الواجب الأدب، الواجب أن ننبذ الخلاف أن ننزله منزلته وأن نتعامل معه بأصول شرعية سليمة على وجه طرقه من قبلنا مراعين أشياء عديدة تأتي بعد حين ان شاء الله تعالى.

بمعنى أننا لو اختلفنا والسلف ما اختلفوا لهلكنا، السلف اختلقوا فنحن لابد أن نختلف، ولذا وقع خلاف بيننا وقد سُبقنا بخلاف من قبلنا فنحن على الجادة، لكن من المصيب في المختلفين، هل جميعهم مصيب أم أن واحدا مصيب؟

واحد مصيب، مع وقوع الخلاف.

فلو أنه وقع خلاف بيننا ولم يكن من قبلنا قد وقع بينهم الخلاف لهلكنا.

ولذا كان عمر بن عبد العزيز يقول: خلاف الصحابة أحب إلي من حمر النعم رحمه الله تعالى، لكن الصواب شيء أخر، الصواب قول وليست جميع الأقوال، فالراجح كما قلنا مذهب المخطئة وليس مذهب المصوبة، والحمد لله الذي سن الصحابة لنا الخلاف.

هناك في مسائل الخلاف مذاهب أسوأها واقبحها والذي اشتهر وانتشر بين المسلمين اليوم وشهره الإعلاميون ويقال لبعضهم زعموا الدعاة المفكرون، قلت لكم سنة الله تعالى رفع الله الغربة من أهل الفكر والصحافة وبدأوا ينشرون الإسلام، والدين الذي انتشر دين الفكر وليس دين الوحي، فالمفكرون قالوا لا إنكار في مسائل الخلاف، كل مسألة سبق فيها الخلاف عند السابقين لا تنكر فيها، كل مسألة حصل فيها خلاف عند السابقين فهذا الخلاف سائغ وجائز، هذه العبارة المطاطة الطويلة ما عرفت عن عالم وإنما اشتهرت على ألسنة الصحفيين وألسنة المفكرين العاملين على نشر محاسن الإسلام من الخارج، ينظر إلى الإسلام من خارج

الإسلام ويبدأ يصف الإسلام ويمدح الإسلام من الخارج وهو لا يعرف في داخل الإسلام شيئا عن الإسلام.

فقالوا كل خلاف وقع بين الصحابة جائز، هذا كلام باطل.

عرف عن أهل الكوفة حل النبيذ، وعرف عن أهل المدينة حل الغناء، وعرف عن أهل مكة حل محاش النساء –إتيان النساء في الدبر–، وكان أيوب السختياني يقول: إذا قلت بقول أهل المدينة في حل الغناء وقول أهل الكوفة في حل النبيذ وقول أهل مكة في حل محاش النساء اجتمع فيك الشر كله، من أخذ تتبع رخص العلماء يجتمع فيه الشر.

لذا الإمام ابن القيم عالج المسألة –وأنا مضطر لضيق الوقت والكلام طويل والكلام يحتاج إلى ساعات، أنا مضطر في كثير من المسائل أن تدونوا المرجع وترجعون إليه وتقرأونه بأناة وبشيء من التفصيل–.

عالج هذه المسألة الإمام ابن القيم في المجلد الخامس صفحة (242) فما بعد من كتابه العظيم إعلام الموقعين ومما قال: لا إنكار في المسائل المختلف فيها ، يقول: هذا خلاف إجماع الأمة. المسائل التي وقعت في الخلاف قال هذا خلاف إجماع الأمة ولا يعلم إمام من ائمة الإسلام قال ذلك، وإن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول أو الفتوى أو العمل، وبدأ يفصل ويفرق بين المسائل التي وقع فيها الخلاف ومسائل الاجتهاد، ومسائل الاجتهاد هي من نوع الخلاف الذي هو مستساغ، فبعض الناس تعامل مع مسائل الخلاف على قاعدة ليست صوابا، قالوا كل مسألة فيها خلاف من سبقنا قال فيها وخلاص انتهى الأمر.

لذا لما كتب بعض المفكرين في هذا الزمان وكان من كبار الإخوان المسلمين في السودان فهو صاحب فكر وصاحب قراءة عميقة لكنه جاهل في شرع الله حسن الترابي، حسن الترابي قال لماذا نشتغل بالعلم متل السلفيين نبقى مشغولين بالعلم والأدلة والمسألة سهلة، قال نحصر الأقوال في أي مسألة من المسائل ونلقي بها على مجلس النواب، هذه الدولة التي هو اقترحها. وساهم في أن يكون عضوا فيها، كان عضو مسؤول في السودان في فترة من الفترات، قال: تلقى على مجلس النواب ونرجح بالتصويت والأصوات الأكثر يصبح حكم الله، في الدورة هذه الأصوات الأكثر حلال حلال، حكم الله حلال، الدورة القادمة الأصوات الأكثر حرام حرام، فحكم الله حلال مرة وحرام مرة ، والحكم هو هو.

هذا الكلام الذي قاله ابن القيم قبل قليل ما قال بهذا أحد من أهل العلم.

العلم لا يبحث هكذا.

الآن العلم يبحث في طرق نحتاج أن نعرف طريقة التمييز بين الخلاف المستساغ وبين الخلاف غير المستساغ .

عندنا طريقتان في معرفة المستساغ وغير المستساغ .

الطريقة الأولى سهلة لطلبة العلم والثانية صعبة .

الطريقة الأولى:

أن يبقى علماء الأمة الكبار الذين يشار إليهم بالبنان بأنهم محققون متبعون للكتاب والسنة أن يبقى الخلاف بينهم على اختلاف أمصارهم واعصارهم إلى يوم الدين.

طالب العلم يرقب مسألة معينة ويريد أن يعرف أقوال العلماء فيها، فيرى أن الخلاف بين الكبار بقي ممتدا إلى عصره، ينظر في العصر الذي يعيش من علماء العصر.

خذوا مثلا أشهر مسألة على الإطلاق في مسألة الخلافة المستساغ، مسألة القراءة خلف الإمام، القراءة خلف الإمام في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر شارك فيها علماء القارة الهندية وكتب فيها أكثر من ألفين رسالة .

انظر إلى العلماء الكبار في القراءة خلف الإمام بعضهم يقول قراءة الإمام لنا قراءة فإن قرأ قرأنا وإن سكت سكتنا وهذا رأي شيخنا الألباني ورأي مجموعة من العلماء ولست الآن في صدد تحرير المسائل الفقهية، أنا امثل على عجلة، وإلا المسألة تكلمنا فيها في سبع محاضرات في صحيح مسلم، هذه المسألة أخذت منا سبع محاضرات.

انظر للشيخ ابن باز الشيخ ابن عثيمين رحمهم الله يروون وجوب القراءة، قبلهم كذلك ، قبلهم كذلك ، قبلهم كذلك، ما انقطع الخلاف من عصر الصحابة إلى العصر الذي نعيش بين العلماء المحققين، فأي مسألة بقي الخلاف ممتدا فيها بين الكبار من المحققين هذا الخلاف يسمى عند العلماء يسمى خلاف مستساغ.

كيف عرفناه؟

عرفناه من الثمرة لا بالماهية.

معرفة الخلاف هل هو مستساغ أو غير مستساغ من خلال ماهية الخلاف والغوص في الأدلة اثباتا أو استنباطا هذا لا يقدر عليه إلا المكين إلا المتمكن.

أما بالثمرة يعرفها طالب العلم الذي يعرف أقوال الفقهاء وأقوال العلماء.

انظر مثلا إلى مسألة النبيذ.

أهل الكوفة قالوا بحل النبيذ والإمام أحمد نشأ في العراق، والإمام أحمد وجد هذه نازلة مشتهرة بين طلبة العلم أنهم يجوزون النبيذ، فألف رحمه الله كتابه البديع الذي سماه الأشربة، وكان كتاب الإمام أحمد الأشربة يضعه دائما في كمه فلا يجلس في مجلس إلا ويخرجه ويقرأه على الطلبة، حتى قيض الله له القضاء على فتنة حل النبيذ وأصبح كثير من المحققين من علماء الحنفية يقولون بحرمة النبيذ، بل بعضهم ألف في حرمة النبيذ، هذا خلاف غير مستساغ.

الإمام أحمد رحمه الله تعالى كتب كتابه الأشربة، وما أجمل المسألة التي يكتب تكتب في وقتها. النازلة التي تكتب لتعالج الخطأ الذي اشتهر ، فهذا فيه أجران وفيه حسنتان، قضاء على الباطل ووضع الحق مكان الباطل، فهذا يكون له ثمرة أخرى .

في مسائل الخلاف فيها من حيث الاستدلال ، من حيث الثبوت ، الخلاف فيها أمر قائم على الشك، وأكثر ما يظهر هذا الباب في المسألة التي ورد فيها أحاديث كثيرة، والأحاديث الكثيرة فيها ضعف، هل مجموع ما ورد في الباب يصل إلى الحسن لغيره أم يبقى ضعيفا، فبعض أهل العلم يقول حسن لغيره، وبعض أهل العلم قول ضعيف.

هذا النوع من الخلاف قائم على اجتهاد والخلاف فيه مُستساغ، مثل صلاة التسابيح، الخطيب البغدادي جمع طرق صلاة التسابيح، حققه أخونا فراس مشعل جزاه الله خيراً، والعبد الضعيف كتبت مقدمة لعلي كتبت سبعين صفحة فيه مقدمة الكتاب، وأورد لصلاة التسابيح فوق الأربعين طريقة وكلها ضعيفة، هل ضعيفة تصل لحسن أم تبقى ضعيفة؟ الإمام أحمد كان يُضعّفها ونقل ابن حجر في أجوبته على المشكاة أنه تراجع عن تضعيفه هذا التحسين بل

رأيت في كتاب الإرشاد للخليلي أنه نقل تحسين صلاة التسابيح عن الإمام مسلم في كتاب الإرشاد.

الشاهد المسألة التي ورد فيها أحاديث كثيرة ووقع فيها خلاف في مثل هذه المسألة هل تصل للحسن أم لغير الحسن هذا خلاف مُستساغ كذلك لما تزدحم الدلالات وتتضارب في المسألة الواحدة ويبقى الأمر إلى القواعد المعروفة والذي لا يُحسنها إلا من كان شبعان ريّان من علم الحديث وكان شبعان ريّان من علم الأصول ولا سيما في مبحث الاستنباط من الكتاب والسنة العام والخاص والمطلق والمقيد والدلالات وما شابه من ذلك.

كيف ما كان يبقى الخلاف المستساغ صاحبه يدور بين الأجر والأجرين فإن أصاب فله أجران: أجر الاجتهاد وأجر إصابة الحق وإن أخطأ فله أجر والأجر مقابل الجهد الذي بذله، و الواجب أن يخرج عن داعي هواه ويستجيب لأمر مولاه ولا يكون مُرجّح ولا شيء يُعظّم إلا الوحيين الشريفين.

فإن كان هذا الباعث وهذا عبّر عنه ابن القيم بكلام بديع للغاية رحمه الله تعالى يأتينا بعد قليل.

الآن أريد أن أنتقل بعد ما عرفنا الخلاف معرفة جملية سأنتقل إلى الخلاف في النوازل والمستجدات.

وقع في تاريخ الأمة كثير من النوازل وأنا كلامي محصور في النوازل والمستجدات التي وقعت بين المسلمين وبين أعدائهم، وجدنا حقيقةً حالات غريبة جداً وأمور شاذة مذكورة مدونة في بطون الكتب وما عايشناه وعهدناه في الأيام التي نعيش سيُدوّن في بطون الكتب لاحقاً شئنا أم

أبينا، نحن نتغنّى بفتوحات وجهاد الأمويين والعباسيين ولا نعرف ماذا كان يجري بالأمويين والعباسيين، انظروا للجهاد الذي قام في زمن المأمون كان الأسير الذي لا يقول بخلق القرآن لا يُفدى ويبقى أسيراً عند أعداء الله، لأن المأمون حمل الناس على القول بخلق القرآن، وكان بعض المجاهدين يحملون عقائد فاسدة، وهذا مدوّن في بطون الكتب بالتواريخ وما تنصّل أحد من محبتهم للفتوحات التي جرت على أيديهم، مع أننا نُخطئهم، وسمّاهم العلماء ونفخر ونتكلم نحن لليوم بكلام نفهم شيئاً وتغيب عنا أشياء وفق سنة الله التي تظهر فيها الخير والشر–كما قلت–بالتدريج.

من أعجب ما يكون أيام الانتداب، المسلمون كانوا يحكمون بالإسلام إلى زمن الدولة العثمانية، بعد الدولة العثمانية صار الانتداب، والانتداب مهّد إلى الاستعمار، فالأمة لم تنتقل من حكم الشرع إلى الاستعمار، كان هناك فترة تُسمى الانتداب، واتفقت بريطانيا وفرنسا على توزيع خيرات بلاد المسلمين واتفقوا أن تكون فلسطين لبريطانيا وأن تكون لبنان وسوريا لفرنسا.

وقع خلاف من أهون، الحكم البريطاني أم الحكم الفرنسي، وطوّلت حقيقةً في بيان هذا في كتابي الأخير تجربة تقي الدين الهلالي في الدعوة إلى الله من خلال إذاعة برلين من سنة ألف وتسعمائة وتسعة وثلاثين إلى ألف وتسعمائة واثنين وأربعين وهي الحرب العالمية الثانية، وكان الهلالي وأنا وافقته ووجدت عدداً كبيراً من الباحثين يقولون الاستعمار البريطاني أخطر وأبعد أمداً يفكّرون لبعيد لكنه أهون، أما الاستعمار الفرنسي استعمار قاتل استعمار تحطيم، ولذا الذي ينظر في عبارات البشير الإبراهيمي وعبد الحميد بن باديس في المغرب العربي الذين وقعوا تحت الاستعمار الفرنسي يجد معاناة شديدة، للآن متاحف القُوّاد والأبطال الذين قادوا

المعارك لعلّي أؤخذ عليها إن قلت أبطال، لا أعرف عقائدهم بعض عقائدهم تكون فاسدة، عمر المختار صوفي سنوسي، نحب عمر المختار لأنه جاهد ضد الطليان، بريطانيا وفرنسا تآمرت على إيطاليا وأخرجوا إيطاليا وأعطوهم ليبيا، عمر المختار بطل لما تخلص منه الطليان رموه من الطائرة وكان سنوسي صوفي ، الفقه أشباه ونظائر، الفقيه لابد أن يطير بجناحين ولا يكون فقيهاً إلا بجناحين، جمع وفرق، الأشباه والنظائر جناح والتفرقة بين المسائل الدقيقة ومراعاة ما جد فيها من نوازل جناح آخر، فلا يوجد فقيه لا يُحسن متى يجمع ومتى يُفرّق، وتأتينا بعد قليل أيضاً إفاضة في هذا الباب.

فرنسا عانى المسلمون كثيراً من فرنسا، للآن بعض الجماجم محفوظة في بعض المتاحف في فرنسا جماجم الذين حاربوا فرنسا للآن محفوظة.

وُجد في تونس –وكانت الهجمة على تونس شديدة جداً ومازالت الهجمة إلى هذه الأيام التغريب بتونس، من يعرف تونس ويعرف ماذا جرى بها التغريب بالإسلام وتغريب العربية في تونس كأنهم فرنسيون، التغريب كان أشد ما يمكن– وُجد بعض العلماء في زمنهم عابد اسمه مُحَمَّد العثمان الحشائشي كان شاذلي له كتاب مطبوع وطُبع سنة ألف وتسعمائة وتسعة في فرنسا اسمه الدرّ الثمين في التعريف بأبي الحسن الشاذلي وأصحابه الأربعين، وكان هذا معتنياً بالعلم والبحث والكتب والرحلات، الشاهد اعتنى به العالم التونسي المشهور الذي ألّف كتاب العُمُر في المصنفات والمؤلفين التونسيين في الجزء الثالث أربعمئة وستة وسبعين إلى أربعمئة وخمسة وتسعون حسن حسني عبد الوهاب له كلام عن هذا الرجل ، لكن الشاهد له كتاب مطبوع طُبع سنة ألف وثمان مئة وواحد وثمانين طبعته فرنسا على حسابها، طبعته بدون اسم مؤلف، لم يتجرأو أن يكتبوا اسم المؤلف ثم فيما بعد ظهر اسم المؤلف، واسم الكتاب الدرّة

النقيّة في مقاصد الدولة الفرنسويّة، فرنسا جاؤوا يحتلوا من أجل أن يرفعوا جهلنا ومن أجل أن يُطوّرونا ومن أجل أن يُقدّموا الخير لنا ولا يريدون خيرات بلادنا ولا يريدون استغلالنا، هذا الصنف كثير من الناس، وهذا الصنف ينبغي أن يُفرد بكتاب، هذا الصنف الذي والى أعداء الله ينبغي أن يُفرد بكتاب، وأن تُدرَس الظاهرة دراسة صحيحة وستبقى موجودة هذه الظاهرة.

ألمانيا في الحرب العالمية الثانية صنعت عجباً.

تسمعون بوصية حامل مفتاح الحجرة النبوية، تسمعونها التي مازالت بين الحين والحين تظهر وألّف فيها الشيخ العلّامة الوالد عبد العزيز بن باز رحمه الله رسالة في التحذير منها، هذه أول ما نُشرت سنة ألف وتسعمئة وستة ثم أُعيد نشرها سنة ألف وتسعمئة وثمانية والذي كتبها المخابرات الألمانية ووُزّعت على المستعمرات الألمانية في إفريقيا وكشف عن هذا بدراسة معمّقة خطيرة جداً طُبعت باللغة الإنجليزية ديفيد معتدل رسالته في سبيل الله والفوهرر، الفوهرر هتلر، النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية، كيف استفاد الألمان من الإسلام، فطوّع الإسلام لمصالحه

هل يوجد استفادة من الإسلام في الحرب العالمية الثالثة؟

الذي يجري ليس سهلاً، الذي يفهم ماذا يجري وينظر بمنظار عميق شامل بعيد الأمد، الحروب العالمية تمكث سنوات قد تكون مقدمات الحروب العالمية خمس سنوات وعشر سنوات، لا تكون الحرب هكذا وهذا الذي حصل في الحرب العالمية الثانية، فالذي ذكره ما أجدر أن يذكر ما في هذا الكتاب قلم مسلم، أين الباحثون؟

الواجب علينا أن نفهم ماذا يجري وأن نتكلم مستشرفين المستقبل، فإذا فهمنا الواقع فهماً صحيحاً ودرسنا علم الاجتماع وفق سنن الله تعالى حينئذ نحتاط للباطل ونستطيع أن نقدم خطوة في النصح للأمة، وليس الهروب ووضع الرأس في التراب سبيلاً من السبل.

كثير من الناس الآن في النوازل التي جرت في غزة قال أهل حماس باطل يترتب على الباطل باطل كل باطل خلاص انسى الأمر نسينا، صباح الخير! هذا الكلام عاقل لا يقوله، الذي عنده مشروع تجاري سوبر ماركت وفاسد لا يقول هذا الكلام، يفكر كيف يتجنب الشر الكبير والشر الخطير، وفكرة أن الباطل باطل وما يترتب على الباطل باطل خطأ في الشرع، الشرع تعامل مع المنهي عنه معاملة الموجود.

تأمل معي وفكر معي جيداً لما العلماء يقولون عندما تقع مفسدتين نختار الأقل، ما هو المعنى؟

المعنى اللازم الذي لا ينفك أننا ما دمنا نختار الأقل أن المنهي عنه شرعاً يعامل معاملة الموجود لا المعدوم.

فليس الفقيه الذي يعرف الخير من الشر، الفقيه الذي يعرف خير الخيرين فيلتزمه ويعرف شر الشرّين فيجتنبه، فأما أن يُتعامل مع الباطل باطل وخلاص هذا كلام المفاليس، كلام من لا يفهم، لذا الشرع فيه ميزة في جميع أحكامه أن أحكامه عملية، ولأن أحكامه عملية تعامل مع المحذور معاملة الموجود، ومن ضمن القواعد التي ذكرها أهل العلم ما ذكرناه مراراً وتكراراً أحكام الشروع غير أحكام الوقوع، قلنا هذا كثيراً وذكرنا هذا في الندوة السابقة، وهذا معمول به في الشرع ومعمول به في الحياة الدنيوية، فلما تتزاحم الأمور أمر صحينا وجدنا أحداث حماس مع اليهود ماذا نعمل؟

أسهل شيء تقول تخلص منهم خلّصنا منهم، إذا كان القوم كفّار والله موقف من يحاربهم صواب، ليس لهم علينا ولاء ولا علينا نصرة إذا كانوا كفاراً.

أنتم لا تحكمون بكفرهم ثم تتبرؤُون منهم هذا خطأ، هذا ما ينبغي أن يُتْرك لعوام الناس، ينبغي أن تُبحث المسألة في مجامع الفقهاء والعلماء.

يا جماعة الذي يجري أمر تشيب له الولدان، ثم تجد المسلمين بنَفَسٍ بارد لا مشاعر ولا قلب ولا عقل ولا حرص على دم وخلاص انتهى الأمر هذا منطق ما هو صحيح أبداً.

الإسلام استُخِدم كثيراً وما زال يُستخدم لهذه الأيام لتطويعه لمصالح الكُفَّار، وأحداث أوكرانيا واضحة مع روسيا و من أعجب ما يكون المضحك المبكي أنه روسيا فتحت المجال بالتطوع للجهاد ضد أوكرانيا و أوكرانيا فتحت المجال للمسلمين لمن أراد أن يتطوع للحرب ضد روسيا وكلاهما مجاهد في سبيل الله، لهذه الدرجة الاستخفاف بالإسلام والمسلمين، والمسلمون ساكتون، ما أجدر أن يقوم باحث صادق مخلص بأن يبين لنا كيف يُستخدم الإسلام ويُطَوَّع لمصلحه الكُفَّار.

نرجع إلى موضوع النوازل والمستجدات التي تقع والخلاف فيها هل هو مستساغ أم غير مستساغ .

الأمر يحتاج إلى تأصيل، و التأصيل مذكور في كتب العلماء وكثير واخترت أيضا كلام بديع للإمام ابن القيم وأنا أنصحكم أن ترجعوا إليه، الكلام مذكور في إعلام الموقعين أيضا الجزء الثاني صفحة (١٦٥) والعبد الضعيف يُحيل على طبعتي الطبعة التي يسَّر الله لي أن حققتها، سأقرأ لكم كلاماً يسيراً للإمام ابن القيم و أرجو منكم أن تفهموا وأن تنظروا إلى واقعة غزة

بنظره شامله عامه، أُربط كل ما يجري حواليك وكل ما ترى حواليك أُربطه بما يحدث في غزة فإن لم تفعل تكن لا تفهم، لا تظن أن الجنون الرياضي وجنون الممثلين و الممثلات ليس له صلة بغزة، من ظن هذا لا يفهم على عقله السلام، المؤامرة كاملة ينبغي أن تنظر اليها نظره شاملة.

يقول الإمام ابن القيم: "ولا يتمكَّن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحقِّ إلا بنوعين من الفهم: ألأول : فهمُ الواقع، والفقهُ فيه".

تفهم النازلة فهماً عميقاً دقيقاً وتعرف تأريخها، والنوازل التي سبقتها، وأقوال العلماء فيها، معرفه تفصيلية، لأن الحكم على الشيء فرعاً عن تصوره، فإذا لم تتصوره لا تعرفه، غزة ما وقعت تحت حكم اليهود، غزة اليهود ضربوها سنة (1955-1956) وحاولوا أن يسيطروا عليها فما استطاعوا بقيت غزة وحدها يحكمها أصحابها وأهلها وما استطاع اليهود أن يحكموها وجرت في سنة (1955-1956) ضربات من قِبَل اليهود لغزة ما استطاعوا.

أيام الانتداب أيام بريطانيا من أواخر الدول التي سقطت في حكم الانتداب البريطاني غزة، حاولوا مراراً و دَوَّنَ هذا شكيب أرسلان على لسان قائد قوات الأتراك في غزة فنقل كلاماً طويلاً في كيف صمدت غزة.

العلامة السلفي الكبير (عَلال الفاسي) من كبار السلفيين في المغرب، له كتاب مطبوع (القضية الفلسطينية والقدس في الفكر والوجدان) في هذا الكتاب في صفحة (٧٥) وكتبه سنة 1957 بعد ما احتُلت 1948، قال كلاماً طويلا فعلَّق على عقيدة رئيس أمريكا في ذاك الوقت الكلام سنة 1958 يقول فالسياسة الأمريكية تبذُل كل مجهود لتنفيذ ثلاث نقاط:-

النقطة الأولى: إجلاء الجيوش الإسرائيلية عن غزة، كانوا محاربين غزة.

النقطة الثانية: تدويل منطقة غزة، جعلها منطقة دولية لا يحكمها أهل غزة.

النقطة الثالثة: وهي أهم النقاط، حرية الملاحة في القناة التي سيفعلونها في غزة. فغزة لها ماضي، ومن يريد أن يتكلم عن غزة لابُد أن يعرف الماضي، ويعرف كلام علمائنا السابقين في غزة، تريد أن تتكلم عن غزة وأنت ما تعرف غزة، ولا تعرف شعبها، ولا تعرف شيئا عنها و تصبح تتكلم بالشرع وتتكلم بالأحكام تضرب أخماس بأسداس وتتكلم كما يقولون: "تخبط خبط عشواء" الإبل التي لا ترى، ليس هذا في دين مشروع ولا في دنيا مشروع، وهذا حال الناس الذين يتكلمون في غزة وإلى الله المشتكى.

إذا كلام ابن القيم في النوازل التي تكون في الأُمه يقول: "لابد للعالم من نوعين من الفهم:-

الفهم الأول: فهمُ الواقع، والفقهُ فيه، واستنباطُ علمِ حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط بها علمًا.

تفهم النازلة بكل ما فيها، تفهم القيود، تفهم الاحتمالات، تنظر إلى المألات".

مألات الذي يجري في غزة يؤذينا، يؤذي كل صادق ولا نحب الحزبيين، ولا نحب الروافض، ولا الذين يتساهلون في الكلام عن الروافض، وقلنا هذا مرارا وتكرار، وهذا دين ، نتعبد الله تعالى به، ننظر إلى مألات الأفعال، ما في عاقل يقول أن مصلحة أهل السنة أن يُغلب أهل غزة وأهل غزة أهل قوة وأهل بأس وأهل جهاد وأهل شجاعة، والذي يناقش في هذا لا يفهم، لا يمكن أنا أقول عن واحد طوله مترين أقول هذا قصير شيء مشاهد جيوش الدنيا كلها اجمعت عليهم ما قدروا عليهم.

وأُتحفكم بكلام عجيب ذكره شكيب أرسلان ونشره في جريدتين نشر في ١٣ ذي القعدة ١٣٥٧ الموافق ٤ يناير ١٩٣٩ و الكلام الذي سأقرأه عليكم نشره في جريدة الشباب، ونشره أيضا في جريدة البيان، الشباب في مصر ، والبيان كانت تصدر في نيويورك في الشباب سنة 1339 وفي البيان سنة 1938 نشره في مقالة سمَّاها (فلسطينيكم أيها العرب) قال فيها: "اعلموا أن أهل فلسطين وحدهم قادرون بما أُوتوا من قوة إيمان وصلابة أبدان ونخوه في أنوفهم وخَيْلاء في رؤوسهم أن يثبتوا في وجه الإنجليز" .

لما أراد الإنجليز أن يحتلوا غزة وما استطاعوا .

"ويذودوا عن حوضهم بشرط أن تقوم الأمة العربية بإغاثة أطفالهم ونسائهم وسد أرماقهم وتضميد جراحهم فالمسالة كلها مسألة مال لأن الرجال موجودون لا يحسبون للموت حسابا ولا يخشون في الدفاع عن وطنهم عقابا أما المعوز فهو المال لا غير وهو الخلل الذي نرجو هممكم الشماء أن تسددوه وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه".

تدرون أن الأتراك هزموا في فلسطين أمام قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية بسبب الجوع، ماتوا جوعًا، الأتراك، فبريطانيا استطاعت أن تنفذ ما تريد، فنفذت معاهدة بلفور.

أي من أراد يتكلم في النوازل أن يعرف المسألة معرفة دقيقة وأن ينظر للفروق وهل الفروق تؤثر بين نازلة ونازلة أم لا.

قال ابن القيم : "والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهمُ حكمِ الله تعالى الذي حكَم به في كتابه سبحانه أو على لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع، ثم يطبِّق أحدهما على الآخر، فمَن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدَم أجرين أو أجرًا واحداً".

شرط الأمرين تفهم النازلة فهماً جيد، تفهم النازلة بحق وتُسقطها بعدل على ما ورد في الكتاب والسُنة، تعمل حق وعدل تفهم النازلة بحق وتسقطها على ما ورد في الكتاب والسُنة.

قال: "فالعالِمُ مَن يتوصَّل بمعرفة الواقع والتفقُّه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله ﷺ، كما توصَّل شاهدُ يوسف بشَقِّ القميص من دُبُرٍ إلى معرفة براءته وصدقه –بالقرائن–، وكما توصَّل سليمان بقوله: "ائتوني بالسِّكِّين حتّى أشُقَّ الولدَ بينكما" إلى معرفة عين الأم".

جاءت امرأتين يتنازعان ولدا رضيع كلتاهما تقول الولد لي و القصة في الصحيحين، فسليمان عليه السلام ألهمه الله شيئاً فقال هاتوا سكين لأقسمه نصفين لكل واحدة منهما نصف فقالت الصغيرة: هو لها هو لها تريد أن تذبحه هو لها هو لها فقضي سليمان أنه للصغيرة التي قالت هو لها.

الحديث: رقم ٦٣٨٧ البخاري، كتاب الفرائض، باب إذا ادعت المرأة ابن.

"حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ. وَقَالَتِ الأُخْرَى إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ. فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ـ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَالَ ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا. فَقَالَتِ الصُّغْرَى لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ. هُوَ ابْنُهَا. فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى " . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ قَطُّ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلاَّ الْمُدْيَةَ."

ما يقول هو لها إلا الأم (تخاف على أبنها من الذبح) غير الأم لا تقول هو ولها فتوصل للحق من خلال القرائن.

انتبهوا للقرائن .

أي مسألة كبيرة تعُم الأمة العاقل ينظر إلى القرائن و يعرف العاقل الحقائق من خلال القرائن، وأن لا نعتمد القرائن غير مقبول، ينبغي أن نفهم القرائن وهذه طريقة ذكرها ابن القيم قال: "وكما توصَّل سليمان بقوله: "ائتوني بالسِّكِّين حتّى أشُقَّ الولدَ بينكما" إلى معرفة عين الأم وكما توصَّل علي بن أبي طالب ﷺ بقوله للمرأة التي حملَتْ كتابَ حاطب ابن أبي بلتعة لما أنكرته "لَتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لَنُجَرِّدَنَّكِ" إلى استخراج الكتاب منها" .

قال أيضا في كتاب (الطُرق الحُكميَّة في السياسة الشرعية): "فالحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات ، ودلائل الحال ، ومعرفة شواهده ، وفي القرائن الحالية والمقالية ، كفقهه في جزئيات وكليات الأحكام: أضاع حقوقاً كثيرة على أصحابها وحكم بما يعلم الناس بطلانه لا يشكون فيه ، اعتمادا منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وقرائن أحواله، فهاهنا نوعان من الفقه ، لا بد للحاكم منهما : فقه في أحكام الحوادث الكلية ، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس، يميز به بين الصادق والكاذب ، والمحق والمبطل، ثم يطابق بين هذا وهذا فيعطي الواقع حكمه من الواجب ، ولا يجعل الواجب مخالفاً للواقع ومن له ذوق في الشريعة ، وإطلاع على كمالاتها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ، ومجيئها بغاية العدل ، الذي يسع الخلائق ، وأنه لا عدل فوق عدلها ، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح : تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها ، وفرع من فروعها ، وأن من أحاط علماً بمقاصدها ووضعها وحسن فهمه فيها : لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة". هذا الشرط.

الواجب في من ينظر في المقاصد يحتاج إلى أمرين كلّيين، صحة فهم، وحسن قصد، ولا يوجد نعمه لله بعد الإسلام على عبد من عبيده مثل أن يجمع له هذين الأمرين.

ما هما الأمران؟

صحه فهم وحسن قصد.

اسمع ماذا يقول ابن القيم ايضا في الإعلام الجزء الثاني صفحه (164) يقول: "صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله تعالى التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسُنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد..." إلى آخره.

إذا كل من تكلم في أي مسألة يحتاج لأمرين: لحسن قصد، والأمر الآخر صحه فهم، حسن القصد من غير صحه الفهم ليس بصحيح وصحة الفهم من غير حسن القصد ليس بصحيح، فلا بد من الأمرين.

فالمستجدات و النوازل ينبغي أن تراعى فيها الفروق الدقيقة.

يبقى و في النفس كلام طويل وكثير والمقام لا يتسع لسرده والحال لا يُفصح إلا بالعمومات و رحمه الله المتنبي القائل:

وَفي النّفسِ حاجاتٌ وَفيكَ فَطَانَةٌ... سُكُوتي بَيَانٌ عِنْدَها وَخِطابُ.

من المسائل التي ينبغي أن يفهمها طالب العلم الفروق بين المسائل، الفروق بين المسائل مهمة.

العجيب تكلمت أكثر من مرة بأكثر من مناسبة ومنها الندوة التي جرت هنا وكثير منهم تَقَوَّلوا علي بكلام بعضهم من الفضلاء بعضهم من أهل العلم ونبزني بأشياء ما قلتها ولا خطرت في بالي .

مثلا قال بعض إخواننا الفُضلاء: أنت بدَّعْت عدنان عرعور، والله ما صدرت مني بدعة له، والله ما بدَّعْتُه ولا في كلمة، خطَّأته نعم، ولكن ما بدَّعْتُه ولما ذهبت على الرياض أنا و فضيلة الشيخ حسين ذهبنا إليه أو هو جاءنا وأفطرنا وإيَّاه وما جرى عِتاب بيننا.

فالناس يتكلمون بكلام كثير .

حصل ما حصل في الجزائر من الخروج على مذهب الخوارج، الثورة المسلحة باطلة، أنا ما انحرفت من قال عني نحرف ما يفهم أنا ما انحرفت أنا على أُصولي التي أخذتها و استقيتها من مشايخي وعلى رأسهم الشيخ الإمام الألباني وما بَدَّعت الخلق، لست صاحب نزوة، أتكلم بأصول علمية معتبرة عند أهل العلم ، أُخطئ! أخطئ، لكن الله يشهد والله يراني والله يسمعني أن فهمي أظنه صحيحاً وأن قصدي نُصرة ديني ونُصره دعوتي.

فالفروق ينبغي أن ينتبه إليها وهي مهمة جداً.

مكثت فتره في حياتي أجمع مخطوطات كتاب الإمام جمال الدين الأسنوي وأراه أحسن كتاب في الفروق سمَّاه (مطالع الدقائق في تحرير الجوامع والفوارق) متى المسائل تجمع بينها ومتى تفرق بينها، ومما أعجبني في الورقة الأولى من المخطوط كلام الأسنوي، اسمع كلمات قليلات لكنها مليئة بالفوائد والعلوم، قال: "إن المطارحة بالمسائل ذوات المآخذ المؤتلفة المتفقة، والأجوبة

المختلفة المفترقة، مما يثير أفكار الحاضرين في المسالك، ويبعثها على اقتناص أبكار المدارك، ويميز مواقع أقدار الفضلاء، ومواضع مجال اختلاف العلماء".

هذا كلام العقلاء.

اسمع ماذا يقول الزركشي في كتاب (المنثور في القواعد الفقهية) الجزء الأول صفحة (٦٩):"معرفة الجمع والفرق، وعليه جُل مناظرات السلف حتى قال بعضهم: الفقه فرق وجمع".

ولذا ألَّف الإمام شهاب الدين القرافي كتابه (الفروق) البديع، وأنا قلت لكم في هذه الندوة: الفقيه إذا أراد أن يبحث في مسائل النوازل فلا بد أن يكون فقيها مدركاً للأشباه والنظائر وللفوارق، وقلت: إن الفقيه لا يطير ولا يستطيع أن يصل إلى مراده وفق ما يحب الله تعالى و يرضى إلا أن يكون له جناحان: جناح الأشباه والنظائر والجناح الآخر جناح الفوارق، أما من لا يُمَيِّز بين هذه الأشياء فهذا أمر عجيب غريب.

أين المشكلة؟

كنت نقلت كلمة أعجبتني وازداد إعجابي بها في هذه الأيام فأحببت أن أُسمعكم إيَّاها كتبتها في شرحي على الورقات وهي للإمام الشوكاني ذكرها في الجزء الأول صفحة (٤٧٣) من كتابه (البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع) في ترجمة عالم اسمه علي بن قاسم حنش.

اسمع ماذا يقول حتى تدرك أين المشكلة؟.

أين المشكلة الآن بين السلفيين ونحن نتكلم عن موضوع الخِلاف وآداب الخِلاف وطُرق معرفة الخلاف هل هي مستساغة؟.

اسمع ماذا يقول الشوكاني؟

يقول: "سمعت من علي بن قاسم أن العلماء على ثلاث طبقات : فالطبقة العالية: العلماء الأكابر وهم يعرفون الحق والباطل، وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم الفتن لعلمهم بما عند بعضهم بعضا".

خلاف الفقيه خلاف في عقله لا ينتقل من عقله إلى قلبه، الفقيه المتمكن العارف في أسباب الخلاف والذي يُقَدِّر الخلاف ويعرف هل هذا خلاف مُستساغ وغير مستساغ إن خالف غيره وكان غيره من الفقهاء الكبار خلافه لا يتعدى عقله خلافه لا ينزل إلى قلبه هذه الطبقة العليا.

قال: "والطبقة السافلة: عامة على الفطرة، لا ينفرون عن الحق وهم أتباع من يقتدون به، إن كان محقا كانوا مثله وإن كان مُبطلا كانوا مثله" .

الناس لا يفهمون.

قال الشوكاني فيما نقل عن علي بن قاسم قال: "والطبقة المتوسطة: هي منشأ الشر وأصل الفتن الناشئة في الدين وهم الذين لم يمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى ولا تركوا حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة فإنهم إذا رأوا أحدا من أهل الطبقة العليا يقول مالا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور فَوَّقوا (أي وجَّهوا) إليه سهام التقريع ونسبوه إلى كل قول شنيع وغيروا فِطر أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهاتٍ باطلة فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق".

قال الشوكاني: "هذا معنى كلامه الذي سمعناه منه وقد صدق فإن من تأمل ذلك وجده كذلك."

اسمع ماذا يقول الشوكاني في الجزء الأول صفحة (٦٥) قال: "وهذه قاعدة مضطّردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة فإنه لابد أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة بعد محنة ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره".

لماذا نُبعد وشيخ الإسلام في أواخر الفتوى الحموية له كلمة بديعه يقول: " وأما المتوسط فيتوهم بما يتلقَّاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمعظم هؤلاء. وقد قال بعض الناس: أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم، ونصف متفقه، و نصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان".

مما ينبغي و أنا لا بد أن أُجمل قدر الاستطاعة و أن أُجمل ما يخص النازلة و أرى أنه لا يُشْرع الخلاف في مِثْلِ هذا.

اليهود أعداء الله عز وجل، والله ذكر أخلاقهم في كتابه أنه لا وفاء لهم وأنهم لَا يرقبون في مؤمن إِلًّاً وَلَا ذِمَّة و أنهم خونه يخونون العهد ولا يصلح معهم إلا القتال، وجود طائفة تقاتل اليهود صالح الإسلام والمسلمين.

الروافض يمثلون وليسوا أعداء حقيقيين ؟

لا.

و أرجو الله أن يعافي من اغتر بهم .

وكل حَل غير القتال مع اليهود سيندم عليه قائله في يوم من الأيام.

وحقيقة الذي يطمئن قلوبنا أن اليهود ليس لهم ميلا لصُلح وهذا واضح، فاللهم اربط على قلوبهم ولا تغير هذا القلب ولا تجعلهم يخادعون، الخوف من مخادعتهم ولما يضعفوا يلجأون للخديعة وقد جرت الخديعة و مشت على بعض الناس.

الأمر الآخر مطامع اليهود في غزة قديمة ما استطاعوا احتلالها لا في (1948) ولا في (1967) و حاولوا و تدخلت أمريكا في (1955-1966) وأرادوا تدويل غزة، و حاصر اليهود غزة و ما استطاعوا أن يدخلوها، و الهدف أرجو أن تنتبهوا ولا أريد أن اتكلم بانفعال و أنا والله لست منفعلاً و سمعت أقوال أخواني الذين فوَّقوا (وجهوا) السهام علي و تأملتها و أقلقتني و مكثت ليالٍ لا أنام و ازدت يقيناً في الحق الذي عندي، ما وجدت نفسي مخطئاً، ولا أقول هذا تكبراً على أحد ولا رفعة على أحد فأنا أدنى الخلق و هم أفضل مني ولا سيما ممن تكلم علي من أهل العلم لكن ما وجدت لقولهم نضرة شمولية ولا نضرة إلى مألات الأفعال، و قال لي بعض الفضلاء منهم قال لي أليس لو ذهب أهل غزة على أوروبا و رحلوا كان أحسن، قلت: أحضر طائرات لهم وخذهم، أنت تتكلم عن شيء خيالي ما تتكلم عن واقع دعك من الخيال و الاحتمالات العقلية و تكلم عن واقع.

أنصح إخواني النظر في كتاب بعنوان (العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها) للكاتب أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي الكتاب مطبوع في الرياض في أربع مجلدات و ذكر في الجزء الثالث صفحة (١٣٠) إلى (١٣٨) المطامع اليهودية التوسعية في الجزيرة العربية، هم يطمعون و أرجو الله أن يحفظ المملكة العربية السعودية و أن يحفظ حكومتها و أن

يحفظ شعبها و أن يبعد كيد اليهود و شرهم عنها لكن اليهود يطمعون، و مخطئ من ظن أن اليهود لا يطمعون في المملكة العربية السعودية، بل يطمعون في كل بلد من بلاد المسلمين.

نظرت في عدد كبير من المصادر في القناة التي توصل بين البحر المتوسط والبحر الأحمر فوجدت أن الفكرة قديمة و وجدت عدد كبير من الباحثين يذكرونها، أحمد بن عبد الله الزغيبي في كتابه أعلاه الجزء الثالث صفحة (٢٨)، و ذكرها عبد الله التل في كتابه خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية صفحة (٣٦٧)، و ذكرها بشير شريف البرغوثي في كتابه المطامع الإسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة صفحة (٢٣٧)، عشرات اليهود يعلنون هذا و العلماء لا يذكرون هذا، وأقدم ما وقفت عليه و أنا لست سياسيا، لست متخصصاً في السياسة و لكن الأحداث التي تجري تثير الفضول أقدم ما وقفت عليه في مجلة الفتح العدد (485) من العام العاشر الصادر في القاهرة في ٢٧ ذي القعدة سنة (1354) الموافق (1936/2/20) في صفحة (١٣) نشرت، ينقلون عن جريدة رينولدز الإنجليزية الأسبوعية مقالاً لأحد الكُتَّاب قال فيه: أنه نظراً للمتاعب التي تلقاها بريطانيا في قناة السويس من الناحية السياسية و شعورنا بأن إقفالها وقت الحرب ربما يؤدي إلي مشاكل دولية خطيرة فإن الحكومة البريطانية فكرت منذ أكثر من عام في حفر قناة أخرى في أرض فلسطين تجعلها تحت سلطة بريطانيا، و هذه القناة تبدأ من الشاطئ الجنوبي الغربي من فلسطين و تسير في الصحراء إلى أن تبلغ العقبة حيث التحصينات البريطانية العظيمة إلى آخر كلامه قال: و المضنون أن المال الذي سيحتاج إليه هذا المشروع سيقدمه جماعة من الماليين الإنجليز الذين ينتظرون منه ربحاً عظيما لأن البواخر التجارية ستمر بالطبع وقت السِلم في هذه القناة.

قناة السويس اتجاه واحد القناة الجديدة اتجاهين ما في معاكسة فتبقي أسلس و أسهل، و الدراسات اليهودية قالوا: هذه القناة ان انشأناها مقابل غزة تدخل (6) مليارات سنويا و تقضي على قناة السويس، و أكثر ما يؤذي إنشاء هذه القناة مصر و الأردن و أكثر المتضررين فيما يحاك ضد غزة الآن شعب مصر و شعب الأردن، و لكن الله جل في علاه سبحانه و تعالى ألهم بكرم منه و فضل حكومتنا بأن وقفت موقفاً مشرفاً يُكتب لها في التاريخ، حكومتنا في الأردن الموقف الرسمي موقف جلالة الملك حفظه الله و بارك فيه موقفه مع أهل غزة.

فارجعوا للحق و ارجعوا للصواب وارجعوا إلى رؤوسكم و عقولكم و كونوا مع الأمة.

أخطاء حماس ثابتة ما نبرأ منها ، لكن من الخطأ التعميم، انتبهوا لعواقب الأمور، من تكلم في مسألة ينبغي أن يتأمل عواقب الأمور، فهذه القناة قديمة مذكورة في عشرات الكتب و في أوقات متعددة و في بلاد متعددة.

ورحم الله رشيد رضا في أواخر حياته في مجلته المنار مجلدة رقم ٣٠ صفحة (٣٨٥) في مقال له عن ثورة فلسطين قال: " إن اليهود من قواعد شريعتهم أن يستأصل القوم الذين يُغلبونهم على أمرهم حتى لا يستبقوا منهم نَسَمَة ومن الحقائق الثابتة الخفية أن الجمعية الماسونية التي شلت عروش الحكومات الدينية من أمم أوروبا والترك والروس هي من كيد اليهود ولقد استخدم اليهود دول النصارى فظاهرتهم على المسلمين وأسسوا الجمعية الصهيونية للسعي إلى ذلك بقوة المال اليهودي ولهم بهذا المال من النفوذ والصحف والقدرة على الدعاية ما يقلب الحقائق ويلبس الحق بالباطل" .

ومن المسائل قبل الأخيرة قبل أن أختم تحاول المؤسسات اليهودية والصهيونية بذكاء ودراسة عميقة وجهود متواصلة أن تُخرج الدول العربية من دائرة الصراع مع اليهود حتى ينفردوا بالشعب الفلسطيني ثم بعد ذلك تتحقق أطماعهم في جميع الدول العربية، أكبر مؤامرة على الإطلاق على فلسطين أن تُحصر فلسطين بالحق بمنظمة التحرير الفلسطينية ، كل مسلم على وجه الأرض يقول أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن مُحَمَّداً رسول الله له نصيب في فلسطين وله نصيب في الأقصى، وأكبر مؤامرة على الدول المسلمة هذا الأمر.

أخيراً الذين يعملون على محاربة اليهود ويبغضونهم نريد أن نسمع منهم كلمه وأثراً عملياً كيف يوالون المضطهدين من المسلمين وإن كانوا ظلمة وإن كانوا هم الذين بدأوا اليهود بالقتال وهذا فيه ما فيه، وأقول هذه مسألة فيها خلاف مستساغ من الذي بدأ لكن الأمر جرى فنريد أن نسمع منهم هل يجوز لكم شرعاً أن تتبرؤوا منهم؟

أختم كلمتي بكلام شيخ الإسلام في المجلد الثامن و العشرين صفحة (209) يقول بعد كلام: "فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين فما أكثر أن يُلتَبس أحدهما بالآخر وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإن الله سبحانه بعث الرسل و أنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسُنه وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام وموجبات الإهانة فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته".

اسمع ماذا يقول قال: "هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة" هذا جزاء من ينشر أصل اتفق عليه أهل السنه والجماعة، جزاه أن يعادى وأن يقال عنه انحرف عن ماذا انحرف؟

هذه حقائق شرعيه ما أحب أن تبقى في الكتب في بطون الكتب لا يعرفها الناس وإنما يسر الله جل في علاه إقامه هذا المركز لنصره الدين على منهج السلف الصالح ولبيان ما هو من أصول أهل السُنة والجماعة.

و أنا حقيقة في شوق وفي قلق أن أعرف من هؤلاء ما هو نصيب إخوانكم المسلمين في غزة وأخص المقاتلين الذين يقاتلون لماذا إن تكلمتم عنهم لا تذكرون اليهود ولا تذكرون اسم اليهود حتى اسم اليهود ما تذكروا لماذا لا تذكرون يهود؟ تكلموا بالأشياء بحقائقها الشرعية على عادة منهج أهل السنة والجماعة على عادة السلفيين إن كنتم لا تستطيعون فأنتم معذورون أُسكتوا هذا .

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى اله وصحبه أجمعين.

# خدمة الدرر الحسان.